الفصل الخامس

في عمق المناقشة

* أسطورة النبي النادرة

جاك نيرنك:

وأنا أقرأ كتابك (الحضارات وجهاً لوجه) شدّني في هذا المقطع الذي يوضح الفرق العميق بين المسيحية والإسلام: (سارت الإنسانية إلى الأمام، عبر عصور حالكة، عصور الطاعة والاستسلام، سارت تحت ضوء - برومشيوس إله النار كما يعتقدون - شبح الجبار وهو أجمل تعبير عن رفض النظام الإلهي المفروض على الإنسان وتأكيد الاستقلالية وعظمة الإنسانية، يمر عبر السنين وينسج العلاقة المعقدة والمتوترة التي تربط الإله بالإنسان - حسب الرؤية المسيحية).

لقد أشرنا سالفاً كم كان تأثير الفكر الهليني على المسيحية الغربية كاثوليك وبروتستانت، حدث ذلك في عصر اليونان المنحط، لقد اكتسبت المسيحية جذورها من اليهودية التي ولدت وترعرعت بالشرق الأوسط وأسهمت في اكتشاف التوحيد، لكن من جهة أخرى كان تأثير الوثنية اليونانية والرومانية عميقاً حتى أصبح من الصعب التوفيق بين الاثنتين.

obeikan.com

الكثير من الأساطير اليونانية التي تكتسي قيمة شاملة تم دمجها في المسيحية، حتى أصبح من الصعب التمييز بين تعاليم المسيح وما تم أخذه من جهات أخرى، ما تم استعارته كان له تأثير سلبي، أدى إلى الشعور بتمزق الدين المسيحي ، وأصبح الشعور السائد هو الندم والحزن، والكفر، والعذاب ثم الموت.

لقد أصبح من الصعب علينا تحمل الإصغاء إلى رسالة النجاة، رسالة الحياة والفرح التي هي جوهرها وخلاصتها، لقد أشرت في كتابك إلى أسطورة بروميثيوس، وقلت إنه حسب ما ورد لدى اليونانيين أنفسهم تسبب في انتشار الظلم في العالم، حسب شرح (هزيود) الذي أشرت إليه، لم يكن بروميثيوس من المحسنين إلى البشرية، بل كان سبباً في الانحطاط الحالي، فهو الذي خلق النار وحكم عليه (زوس) بالصلب فوق الجبل حيث كان عقاباً يلتهم قلبه المتجدد باستمرار. كان هناك شبه غريب بين (بروميثيوس) المثبت على صخرة والمسيح المصلوب.

يمكن أيضاً الإشارة إلى الأسطورة الموازية (لديدال) المهندس الذي صنع نفقاً لحبس (Le minotaure)، الذي صنع أجنحة لكي يتمكن هو وابنه (ايكار) من الهروب، أما ابنه إيكار فقد حرقته أشعة الشمس وغرق في البحر.

كان اليونانيون مهندسين بارعين، لكنهم لم يولوا اهتماماً زائداً لاختراعاتهم، فهم يعدون أن كل محاولة من الإنسان للهروب من مصيره تنتهي بانتقام الله منهم.

هناك لعنة مسلطة على الحضارة اليونانية التي تسودها الشتائم، فالإنسان في مواجهة دائمة مع الآلهه، لأنه سيئ، وضال، ومتقلب، وشرف الإنسان بالطبع يجبره على التمرد على الله.

يمكن البداية ببرومشيوس ثم الاستمرار حتى الوصول إلى تمرد (كاموس)، هناك تسلسل عجيب بينهما، هذه الأسطورة هي الأسطورة التي تأسست عبرها المسيحية، ولم يكن هناك لها أي تأثير على الإسلام واليهودية.

هذا فعلاً مدهش، إذاً عددنا أن (المسيح) قد صلب، هناك رواية كلاسيكية تدّعي أنه تم فرمه، لقد تم التضحية به للثأر لأبيه، فهو في وضع برومشيوس بالنسبة لزوس، مع الفرق أنه لم يتمرد بل قبل التعذيب، إذاً تأملنا في عملية الصلب، مع العلم أن الله واحد، وأن الله طيب، وأن الله رؤوف رحيم، فهو واضح أن هناك تناقضاً مطلقاً، التفسير التقليدي لعملية الصلب الدامية التي طالب بها الأب فدية للخطيئة الأصلية قريبة من الأسطورة اليونانية وبعيدة عن اليهودية التي فرضت التوحيد على البشرية.

عبر هذا الجانب الخفي للتاريخ نطرح السؤال الآتي: حتى لو كانت المسيحية دينياً مبنياً على تناقضات داخلية، هل هذا التمرد لم يكن سبباً في الثورة العلمية والثورة الصناعية التي حصلت في القرون الأخيرة؟ فالإنسان المتمرد على الله ينتهي بالثأر من الطبيعة، هدفه هو إخضاع الطبيعة إلى تقنياته والتفوق على ما خلقه الله، لا تهم الطبيعة، ولا يهم علم البيئة، لا يكمن هنا الشرخ الكبير الذي يفصل بين الإسلام والمسيحية؟

obeikan.com

طارق رمضان:

هنا أصبت، لقد أدركت النقطة المركزية، هدف المناظرة حول الحضارات، وحول الأساسيات المقترحة في الكتاب الذي أشرت إليه، هدف هذه المناظرة هو إبراز هذا الفرق الأساسي، هي صورة برومشيوس وماسوف ينتج عنها داخل ميدان التمثيل المسيحي، إذاً تعمقنا في مشروع برومشيوس نصل إلى ما توصلت إليه: أي حالة الثورة ضد أي سلطة، ضد الطبيعة نفسها، وترويضها وخضوعها للإنسان، خضوعها الكامل وبكل حرية، أو بمعنى آخر امتلاك النار (وسرقتها)، كما يتصور ذلك المتمرد (رامبو)، كل هذه المراجع موجودة أساساً في التقاليد المسيحية حتى لو كانت ناقصة. لكن لا أحد ينكر هذا الوجود.

التصور المأساوي هو أحد الأمثلة، وقد تكلمت في كتابي عن قصة إبراهيم عليه السلام، وخاصة في ذلك المقطع حيث يوحى إليه بالتضحية بولده مرضاة وحبّاً لله، هذه التضحية مذكورة في تقاليد اليهود والمسيحيين والمسلمين مع وجود اختلاف بسيط واحد أساسي: أهمية المحنة والعزلة المأساوية غير موجودة إطلاقاً في القرآن.

هنا إبراهيم يقول الحقيقة لابنه، يتكلم معه ويعيش معه المأساة: الابن يواجه أباه ويشجعه على تلبية طلب ربه وقبول مصيره.

هذا التصرف يخفف من المأساة وعدم فهمها ويضع حداً للتمرد الوجودي أمام الأمر الإلهي. لا شيء من هذه المعاناة وهذا التمرد في التقاليد الإسلامية، لذا يجب الوصول إلى الموافقة والإقرار بالعقيدة

الصحيحة، مما يدل على أن نور القلب فتح أبواب العقل، يجب الوصول إلى هذا التآلف، والموافقة حتى دون إدراك، هنا يظهر جلياً أن العقل البشري لا صلة له في التمرد، ولكنه مصدر العقيدة لأن العقيدة في الإسلام تسبق ولادة حالة العقل، لقد سبق لنا الحديث في هذا الموضوع.

جاك نيرنك:

المسيحيون يواجهون صعوبة كبيرة للتوفيق بين الاثنين.. المسيحية الغربية تعيش في صراع دائم بين العقل والعقيدة، والعقيدة هي الخاسرة دائماً.

طارق رمضان:

نعم، الإسلام لم يعرف هذا الصراع لأن الخاصتين غير متناقضتين، بل العكس هو الصحيح، في البداية أحدث ذلك قفزة عظيمة واهتماماً بالبحث العلمي؛ لأنه كان واضحاً للمسلمين أن زيادة العلم يدل على عقيدة راسخة وعميقة أكثر، غالباً ما تنمو العلوم عند ممارسة أفضل للشعائر الدينية، مثال على ذلك تطور علم الفلك لدى المسلمين عند دراستهم لدورة القمر لتحديد أوقات شهر رمضان.

بالرغم من هذا أعرف اهتمامهم الزائد للعديد من العقبات أثناء التاريخ بسبب مشكلات اجتماعية وسياسية، لكنك أشرت إلى شيء أعتقد أنه صائب، ألا وهو نمو البحث العلمي وتطوره، تم دون موافقة السلطات الدينية؛ لأنه عندما تم التخلص من العقبة الدينية

obeikan.com

والأخلاقية أصبح الميدان خالياً لإجراء أي تجربة علمية: أصبح كل شيء مباحاً أو تقريبياً.

في أرض الإسلام لم يحصل هذا التحرر لأن معطيات المشكلة ليست نفسها، لا توجد سلطات دينية تمنع البحث العلمي والعلاقة بين العقل والعقيدة لم يشهد أي صراع مثل ما أشرنا إلى ذلك سالفاً.

والبحث العلمي لم يكن أبداً مقسماً حسب الاعتبارات العرقية، في أرض المسلمين هناك حدود لا يمكن تجاوزها، بينما في الغرب للوصول إلى الديناميكية التي عرفها المسلمون يجب التحرر من كل العقبات العقدية والأخلاقية لذا بدأت العلوم انطلاقتها في أوروبة في القرن الثاني عشر أو بالأحرى بداية النهضة ، وبعدها تطورت دون تدخل الكنيسة، وتحررت تماماً عنها، في عالم تحكمه المعرفة، وتسيطر عليه السلطة.

هذه العلاقة التي كانت تربط رجال العلم بالكنيسة لا وجود لها في الإسلام لأن حدود الأخلاق بقيت موجودة، والعالم الذي كان (محل) معرفة أصبح (صاحب) معرفة وشاهداً على الإبداع الذي يجب احترامه، أنا لا أظن اليوم أن العالم الإسلامي سوف يشهد التطور نفسه الذي شهده الغرب، إلا إذاً تخلى عن كل هذه المراجع، بالتأكيد التقدم شيء جميل ولكن بشرط أن يتم ذلك ضمن حدود معينة واحترام معين.

لكن في قلب التقاليد الإسلامية ما كان يعيق نمو العلوم الإسلامية بالأمس يبقى هو التصور نفسه للعالم والتطور نفسه الذي يرتبط بمتطلبات العقل، والقيم، والأخلاق: باختصار هناك حدود يجب أن

تحترم، الاختلال الموجود اليوم بين الإنسان والكوكب يتناقض مع تعاليم الإسلام.

المطلوب منا هو إيجاد سبيل للتطور مبني على السيطرة وحسن السلوك الخاص بهذه السيطرة، التعاليم الإسلامية توجهنا نحو احترام هذا التوازن، يجب إجراء حوار بين الحضارات يشارك فيه مسلمو أوروبة لشرح هذه المسائل الأساسية، هذه فرصة المسلمين للإسهام في هذا الحوار والرجوع إلى هذه المراجع وإبراز هذه الحدود التي يجب أن تحترم.

* تناقض التطور الغربي

جاك نيرنك:

يجب الآن معالجة مشكلة التّطور؛ لأن هذه المشكلة هي تطبيق لما أشرت إليه قبل قليل، إذاً قمنا بتبسيط الأشياء إلى أقصى الحدود، يمكن القول إن الإسلام والمسيحية تواجها من القرن السابع حتى القرن الحادي عشر، وتفوق الإسلام في هذه المعركة.

أولاً هناك انتصار سياسي: قام المسلمون بغزو بلاد عظيمة، وخيّموا في مسرح العمليات التي انطلقت منها المسيحية لغزو أوروبة والعالم.

سياسياً يعد المسيحيون هذا الانتصار فضيحة، لهذا قامت الحرب الصليبية، لكن الإسلام استفاد أيضاً من العالم اليوناني، فالإسكندرية كانت في يوم ما المركز الثقافي العالمي، كانت المكان الوحيد الذي نشأت

فيه شبه جامعة تحت رعاية بطلموس، بالإضافة إلى مكتبة، ومختبرات، وحديقة نباتات، ومعهد طبي تجري فيه التشريحات.

أثناء هذه المدة كانت البلاد الإسلامية هي المركز العلمي للعالم.

كان الغرب يفتقر إلى الجامعات آنذاك، وظهرت أول جامعات في الغرب في القرن الثاني عشر، كان الشباب الأوروبي يسافر إلى بلاد المسلمين لتعلم الطب والحقوق مثل الأفارقة اليوم الذين يقصدون أوروبة لطلب العلم.

وبعد ذلك في القرن الحادي عشر حصل انقطاع، وأصبح الغرب غزاة يسعون وراء الاكتشافات، كما صاروا تجاراً ومبشرين، قام الغرب بثماني حروب صليبية فكانت هذه الحملات شرسة جداً، وكان لأوروبة الشمالية الغربية نصيب الأسد من هذه الغزوات، قامت فرنسة وبريطانية وألمانية بحملات نهب رهيبة لمركز الحضارات الموجود بالشرق الأوسط، ابتداء من القرن السادس عشر بدأت حملة الغزو وانتشرت خارج الشرق الأوسط، فالبرتغاليون تجاوزا إفريقيَّة وبدؤوا يتاجرون مع آسية، أما الإسبان فقد قاموا بغزو الأمريكيتين ودمروا الحضارة شبه الكولمبية.

من القرن السادس عشر حتى القرن الحادي والعشرين، أي حتى يومنا هذا، كان الغرب هو المستفيد، هذا هو اللغز التاريخي.

ماذا جرى بين القرن الحادي عشر والسادس عشر حتى خسر الإسلام وقل انتشاره وبدأ في التّراجع؟

سلاطين غرناطة فقدوا السيطرة على إسبانية سنة 1492، أما العثمانيون فقد استطاعوا غزو البلقان حتى وصلوا إلى مشارف فيينا ودامت سيطرتهم هذه حتى القرن الثامن عشر لكن وضع الإسلام في نهاية الحرب العالمية الأولى في 1918 كان مأساوياً، أصبحت دول إسلامية مثل إندونيسية، وباكستان، والسودان وليبيا دولاً مستعمرة، ودولاً أخرى مثل تونس، ومصر، وسورية، أصبحت تحت حماية أجنبية، أما الدول المنتجة للبترول مثل إيران وشبه الجزيرة العربية فكانت تتمتع بشبه من الاستقلالية لأنها تعد أيضاً تحت حماية بترولية.

من سنة 1918 حتى 1945 أصبح الإسلام تحت مظلة الغرب.

خوف الغرب الكبير اليوم يدور حول محاولة المسلمين استرجاع سيادتهم وحريتهم المسلوبة من الغرب، حرية سياسية حقيقية واقتصادية وثقافية، إن ثورة مصدق، وعبد الناصر، وبن بلة، والقذافي والخميني وصدام حسين تعبّر عن هذه الملحمة، ملحمة الحريات، الحريات التي لم تسترجع كلها بعد، السيطرة على البترول هي اللعبة الأساسية من بين هذه الحريات.

يجب أولاً محاولة فك هذا اللغز التاريخي، ماذا حصل بين القرن الحادي عشر والخامس عشر لتحصل كل هذه التقلبات وهذا الانجراف؟ من شجع الحضارة (المسيحية) على التطور بسرعة أكثر من الآخرين القوسان المزدوجان فرضا علينا لأننا نتساءل كيف حصل هذا التطور الجنوني في منطق المسيحية.

طارق رمضان:

سؤالك يفرض علينا تحديد الأسباب:

الأسباب الداخلية، أي داخل الحضارة الإسلامية التي يمكن أن تشرح هذا التدهور، بالإضافة إلى العوامل التي تدخلت مباشرة في التطور الذي حصل لدى المسلمين والغرب.

إذاً تقيدنا بتحليل مختصر لتطور الحضارة الإسلامية، نلاحظ أن هناك كوكبة من العوامل التي تسببت في هذا التدهور بعد الازدهار الديني العظيم، والازدهار الثقافي الأعظم، ليس هناك أي شيء كان بإمكانه إيقاف حب تطلع المسلمين وإعاقة حب المبادرة.

لكن مساحة الإمبراطورية التي كانوا يديرونها ويسيّرونها كانت ضخمة، بالإضافة إلى تفشّي الرشوة شيئاً فشيئاً بين الأمراء والسلاطين، وكثرة الصراعات بينهم، والمناقشات العقيمة التي تتسم بفلسفة المضاربة، ودخول العلماء في دائرة التقليد والتفسيرات غير المحدودة في ميدان القانون والقضاء، كل هذا أسهم في تصلب الأمور والانهيار الكامل.

هناك من يدعي أن تنقل السلطة بين الأسر الحاكمة، عربية أو غير عربية، من المماليك إلى السلجوقيين، وانتقال السلطة إلى العثمانيين هو الذي أدى إلى هذا الانهيار، لكن بعد إجراء تقويم لهذا الادعاء، اتضح لي أن هذا الادعاء غير مبني على أسس صحيحة؛ لأنه في العهد العثماني وخاصة في عهد سليمان (القانوني) أو العظيم استرجعت

الدولة أنفاسها في القرن السادس عشر، ونما من جديد حب المبادرة في أعماقها وازدهرت اجتماعياً وسياسياً، يمكن كذلك الرجوع إلى تفسير ابن خلدون في كتابه (مدخل إلى التاريخ العام) الذي يتحدث فيه عن انهيار الحضارات الضروري، حيث يجد ذلك أمراً طبيعياً جداً.

يجب أيضاً إضافة كلمة بخصوص تطور الغرب الذي شهد نهضة فكرية وعلمية وإعادة اكتشاف جزء من التاريخ المسيحي، عبر الكتب المترجمة ونقد بعض الكتاب العرب والمسلمين اكتشف الغرب إرثاً يونانياً عظيماً وخاصة أرسطو، فيما بعد تم الادعاء أن دور العرب اقتصر على الترجمة فقط، ولكن هذا يتنافى مع الحقيقة؛ لأن الغربيين الذين قرؤوا أرسطو في القرون الوسطى، قرؤوا فكر أرسطو بعد أن تمت قراءتها والتعليق عليها وتفسيرها من قبل العديد من المفكرين المسلمين من بينهم المفكر الشّهير ابن رشد.

هذا الأخير لم يكن (مترجماً) كما لم يكن قبله (الكِنْدِي والفارابي وابن سينا)، كلهم لم يكونوا (مجرد معلقين).

لقد تستر الغرب كثيراً على فضل المسلمين الأساسي في بناء الفكر الغربي، كان الفضل لهم في ظهور فلاسفة وعلماء امتازوا بتفكيرهم الواسع وعقولهم الجبارة التي تتسم بالتفكير الحر المتعطش للحرية. مثل ما أشرنا سابقاً، أن هناك لدى المسلمين تفاهماً بين العقيدة والعقل عكس المسيحيين حيث كان هناك طلاق تام بين هذا وذاك، كان هذا الطلاق صعباً للغاية مما أدى إلى نشر الحقد ونفي كل من يخالف ذلك، هذا الطلاق هو الذي شجع الفكر الغربي على التحرر شيئاً فشيئاً وبعد

عدة مراحل تحرر نهائياً من العقيدة وبناء تفكير يمتاز بحرية واسعة، بوساطة التفكير الحر ونيل شهادة البكالوريا نشأ التفكير العلمي، وتطورت علوم التكنولوجيا، لقد واكبت هذه الظاهرة التطور السياسي والعسكري والاقتصادي وظهور أوائل طلائع الغزو والإمبريالية، لقد استفاد الغرب من العالم الإسلامي واستعار منهم الأدوات وأساليب تطبيق الفكر الحر في مدة من الزمن كانت التقاليد المسيحية هي السائدة، فكان لا بد من توافر الشروط الموضوعية اللازمة لضمان القفزة التحررية، بعد أن تحرر الفكر من كل العوائق أصبحت (مخالفة التجديد) تتمتع بالحرية المطلقة وأصبح مجاله غير محدد إلا بما هو ممكن، وغير ممكن وانطلق إلى أبعد ما يتصوره الفكر الإسلامي الذي لا يزال مقيداً بالعقيدة.

هذه المدة التي حصل فيها الانفصال والانقلاب مهمة جداً.من هنا يتضح أن هناك حاجزاً أعاق تقدم الفكر الإسلامي ولم تحصل النهضة التي حصلت في أوروبة، الفكر العقلاني، الديكارتي، الحر نشأ وترعرع في هذه التربة، تم كل ذلك بصفة طبيعية ضد (الدين) الذي يتصف بالتسلط (العقدي)، هذا الفكر الحر هو الذي أسهم في إحراز التقدم وانتشار التكنولوجيا، كان الاعتقاد السائد أن التقدم والتطور التكنولوجي سوف لا يتوقفان.

التناقض الذي نشهده اليوم مثل ما يقول فيلسوف العلوم ميشال سيريس الانشغال الأخلاقي، يمكن البحث عن الرجوع إلى سلوك عقلاني، أو أخلاقي بحت المسمى اليوناني هو الأنسب فنياً، ولا يُماشي

الدين، وغير مزعج لمن يسمعه كل هذا يكشف لنا الحقيقة: الحاجة إلى الحدود.

إلى أين يمكننا الذهاب؟ الكوكب يقول يومياً أن تسييرنا لا معنى له، والتقدم العلمي والطبي يخيفنا لمجرد ذكر ما سيصبح غداً ممكناً، هذا الرجوع إلى المسألة الأخلاقية يهم أولاً العالم الإسلامي لأن معنى الحدود والاختيار مع التجديد هو جزء من هويته، إن ما أعاق تقدم الحضارة الإسلامية بالأمس يمكن أن يسمح لها اليوم بالتقدم بسهولة.

* الركود التاريخي للإسلام

جاك نيرنك:

لا نسبق الأحداث، أريد أولاً توضيح السؤال حول أزمة الإسلام الكبيرة، أحد عوامل هذه الأزمة هو دون شك انزلاق المركز السياسي للإسلام من بغداد إلى إسطنبول، وميول العرب الذين شرفهم الله بنعمة الإسلام إلى شعب يتسم بالبربرية، قدم من شعوب آسية، مثله مثل كل الغزاة، لا يجيد اللغة العربية لإنجاز مهمة بصفة طبيعية.

أريد طرح أسئلة من اختصاص المهندس، عرف الغرب عن طريق الإسلام مجموعة اختراعات أسهمت في تطوره، ونجح في التقدم إلى أبعد الحدود، من بين هذه الاختراعات: البوصلة، البارود، ومقود الباخرة، والطباعة، كل هذه التقنيات وصلت العالم الغربي عن طريق

العالم الإسلامي. المدهش هو استخدام الغرب لهذه الاختراعات بصفة واسعة بينما العالم الإسلامي لعب دور الوسيط دون أي رغبة في تطوير هذه التقنيات.

أريد بصفة خاصة التركيز على ظاهرة الاكتشافات الجغرافية، الشعوب التي وحدت العالم هي الشعوب الغربية، وبصفة خاصة البرتغاليين والإسبان في البداية، ثم الإنجليز والفرنسيين لاحقاً، لقد انطلقوا في مهمة عظيمة حتى لو كانت الدوافع مختلفة. طبعاً الكثير منها بسبب الطمع والجشع، كان الغزاة رجال سلب ونهب، لكن من بينهم رجال دين ينتقلون من أجل التبشير ونشر العقيدة. التقنية التي صنعت بها السفن الشراعية الصينية سمحت للبحارة الصينيين بعبور كل المحيط الهندي، والتقنية نفسها تم تطبيقها من طرف الغربيين، ولكنها أكثر جرأة ، مما سمح للبرتغاليين بالدوران حول العالم.

لما قام فاسكو دي جاما بالالتفاف حول إفريقيَّة، قابل قرب جزر القمر سفناً عربية وأخرى صينية، لكن السفن الإسلامية والصينية لم تحاول أبداً عبور هذا المسلك للإرساء في كاديكس أو لشبونة.

حتى لو تخيل في ذاكرتنا العنف والجشع التجاري الذي رافق هذه العملية، لا يسعنا إلا أن نعجب من المجهود، مجهود التوسع والغزو والعقيدة القوية التي يتمتع بها هؤلاء المسيحيون مقارنة بأسلافهم الذين جاؤوا من الحضارتين الكبيرتين آنذاك، ألا وهما الحضارة الإسلامية والحضارة الصينية.

أجد هذا مدهشاً وعجيباً، فالإسلام أظهر في القرن السّابع مقدرته الكبيرة في مهمته التبشيرية، وفجأة عند تفتح العالم اختفت هذه القدرة، هذا طبعاً لا يدل على أزمة سياسية فقط.

هل هناك عامل آخر؟

طارق رمضان:

لا ننسى أن هذا الشغف وهذه الطاقة التي كانوا يتمتعون بها في القرن السابع كانت تنبعث من اعتقاد فكري، كانت مهمتهم نقل شهادة ونقل رسالة وآخرها رسالة الإسلام التي تعد أسمى رسالة في العالم.

شيئاً فشيئاً اختفى هذا الشغف وحلت محله المشكلات الداخلية، هذا هو أحد أسباب الانطواء على النفس، يجب الإشارة أيضاً إلى أن المسلمين كانوا يشتهرون بالأسفار، وأحد أسباب انتشار الإسلام هو التجار المتنقلون حول العالم خاصة أولئك الذين جابوا إفريقيَّة الغربية وآسية، عمليات الاكتشاف والتقدم والمبادرة لم تصبح حكراً للدول القوية والمجهود الذي يبذل لا يدل على دافع سياسي واضح.

لقد حصل العكس في أوروبة، اكتسبت طاقة كبيرة بعد أن تحررت من الحدود القديمة، وأحسن من ذلك لأن التطور والاكتشافات الجديدة وضعت تحت تصرف سياسة القوة المتوسعة الاستعمارية التي تزودهم بالشرعية اللازمة أمام أعين الملوك وسلطة الكهنة، أما دوافع المسلمين الأولى فلم تكن ذات نزعة استعمارية.

obeikan.com

كثيراً ما تحتفظ السلطات المحلية بامتيازاتها، هذا ليس له أي علاقة بالتوسع الاستعماري الذي حصل في القرون الوسطى، حيث كانت دوافع الغزو استعمارية بحتة لاغتصاب الأراضي ونهب خيرات البلد المحتل، أمام قوة كهذه يتضح أن الحضارة الإسلامية ليست لها القوة الدينية والمعنوية والسياسية والعسكرية لمواجهة أوروبة والصمود أمامها.

جاك نيرنك:

وهكذا يمكننا الاستمرار حتى نهاية التحليل، في هذه المدة التي انطلقت فيها حملات الغزو تم تطوير التقنيات التي قدمت من الخارج وبدأت أوروبة بناء اقتصاد حديث، ليس هناك شركات خاصة قادرة على استثمار رأس مال كبير دون اللجوء إلى البنوك التي تطالب بفوائد باهظة، على الرغم من ذلك تم اللجوء إليها لأن الفوائد ممنوعة دينياً سواء من طرف الكنيسة أو الإسلام، وكان يتكفل بهذه المهمة اليهود الذين كانوا غير محبوبين بسبب ذلك. كلما زادت ثروتهم يقوم المسيحيون باسترجاعها بعد القيام بذبحهم.

لكن هذه العلاقات المتوترة كانت غير ملائمة لإرساء اقتصاد ديناميكي، لا يمكن الخروج من اقتصاد ريفي دون قبول الإجراءات الضرورية لجمع رؤوس الأموال بين أيدي مسيري الصناعات.

في القرن الثاني عشر كل مسيحي يقبل الفوائد عند إجراء عمليات تسليف يتم لعنه علناً ولهذا بقيت الحالة مسدودة نهائياً مما أجبر

بعض علماء اللاهوت لاختراع عملية تطهير هذه الأموال المقترضة، هذا الوسيط بين السماء وجهنم يساعد من يسلف على النجاة مؤقتاً وبوساطة كفارة مؤقتة بوساطة هذه الحيلة أصبح بإمكان أرباب الأموال جني ما يريدونه في هذه الأرضي، دون خسارة للشيء الكثير في العالم الآخر.

في رأيي الشخصي أرى أن هذه الفتوى تعد حيلة ذكية وإيجابية من الناحية الأخلاقية، العقيدة تتسبب في اختراع وصفات أخلاقية فعالة، في الوقت الذي يستحسن فيه الاكتراث يتم البحث عن مخرج باختراع فتوى بكل بساطة، بإمكاننا قراءة كل الكتب السماوية فلا نجد مثل هذه البدعة، بدعة تطهير الأموال.

بعد إصدار مثل هذه الفتاوى ظهرت أولى البنوك في إيطالية وسوف تسهم في الانطلاق لغزو العالم، يمكن تجهيز باخرة مع أن فرصة عودتها ضئيلة جداً، هذه العملية تتطلب أموالاً باهظة ومغامرة كبيرة ويتطلب إنشاء شركات خاصة، وما يتبعها من مخاطر اجتماعية عند حصول بعض التطورات الاقتصادية.

أما الإسلام فهو عكس ذلك لم يقبل عمليات الاستلاف بفوائد، فالبنك الإسلامي يعمل بطريقة أخرى غير التي تعمل بها البنوك الغربية.

هل يمكنك شرح ما يسمى بتحديد عمليات الاستلاف بفوائد وتصور البنوك الإسلامية؟

obeikan.com

* صيغة البنوك الإسلامية

طارق رمضان:

بما إننا وصلنا إلى المشكلات الاقتصادية فهذا هو جوهر الموضوع، موضوع الحدود التي لا يمكن تجاوزها.

في بداية القرون الوسطى بدأت محاولة تبرير بعض السلوكيات المحرمة في التقاليد المسيحية بوساطة الفتاوى المبتدعة من طرف علماء اللاهوت، حتى التقاليد اليهودية تمنع ممارسة عمليات التسليف مقابل ربح بين الجالية اليهودية، لقد أشرت إلى عملية التطهير التي أصدرها علماء اللاهوت.

في التقاليد الإسلامية لا ينفك العلماء عن تذكير المسلمين بتحريم الفائدة والربا والمراهنة، إن أساس هذا التشريع هو: أن المال لا ينتج بمفرده لأن الإنتاج يتم عن طريق العمل والاستثمار مع احتمال الخسارة والربح، هذا هو المعنى الأساسي للمشاركة الاقتصادية، مع العلم أنه لا يمكن تحديد ربح مسبق ولمدة محدودة، إذاً أضفنا إلى هذا إخراج الزكاة على كل الأموال المخصصة للإنتاج يمكن لأي شخص استثمار أمواله في الاقتصاد دون إمكانية تقاضي أرباح دون عمل، إذاً لم يستثمر أمواله سوف تنفد.

بعض العلماء حاولوا بمرور الزمن إيجاد تأويل لبعض الصيغ لفرضها على الناس ولشرح مفاهيم التحليل الاقتصادي، فادّعوا أن

الأرباح البنكية ليست أرباحاً وهي مسموحة لأن هذه الأرباح لا تتجاوز مبلغاً معيناً ولا نسبة معينة، لكن هذه الادّعاءات كانت محل نقد من الجميع ولم تجد من يقبلها من أغلبية المسلمين.

لقد أشرت إلى البنوك الإسلامية التي تحاول اليوم إيجاد صيغة مقبولة مع تجنب الأرباح، هناك بوادر جيدة، لكن هناك الكثير من المشكلات العالقة كما أن هناك الكثير من النواقص بخصوص تسيير هذه البنوك. المهم في كل هذا هم تعاونيات التنمية دون فوائد، ومشروعات الاستثمار الصغيرة مثل تلك التي تم تجربتها ببنغلادش، أو شركات الاستثمار: كل هذه المشروعات تتم مع احترام التعاليم الإسلامية التي ترفض المراهنة والفوائد وتركز على التجارة الشرعية والاقتصاد الذي يراعي مصالح الإنسانية بهدف خدمته لا استعباده.

جاك نيرنك

لو رجعنا إلى بداية الرأسمالية يتضح لنا تحليل أدام سميث الشهير في القرن الثامن عشر: لا تنتظر أن يأتيك خبزك اليومي لمجرد طيبة الخبّاز؛ لأن غايته هو الربح ومجموع أرباح الأفراد هو الذي يحقق الرفاهية العمومية.

هذا التحليل ذو أهمية قليلة. صحيح أن الخباز يعمل لتحقيق الربح، لكن هذا لا يعني أنه لا يريد كسب احترام من حوله، ولا يريد إتقان عمله وأنه لا يعرف أن رفاهيته مرتبطة بالازدهار العام، ليس هناك

عمل للخبّاز إذاً كان الجميع بطّالين، من سيحمي الخبّاز من الفقراء الذين قد يهاجمونه لكي لا يموتوا جوعاً، حوافز الخبّاز متعددة وتتجاوز تحليل أدام سميث الواضح والواقعي.

إن فعالية العالم الغربي الرهيبة تستند غالباً إلى تحاليل بسيطة جداً، مرسومة ومختصرة، تؤدي إلى خلل مفاجئ ومدمر وأزمات اقتصادية، وحروب عالمية، وكوارث بيئية، ابتداء من القرن الثامن عشر عَدَّ الغرب بصفة واضحة أن الدين هو سبب قلة التنمية الاقتصادية، لذا حل دين الربح محل المسيحية، دين الربح هو دين التنمية، والقوة، أزاح الدين الجديد المسيحية وبقيت ملامحها الخارجية محترمة.

العلاقة بين المسيحية والرأسمالية معقدة جداً وليست مجرد مواجهة، لقد ابتلعت الرأسمالية المسيحية ، حتى غزو أمريكة تم من أناس هربوا من أوروبة بعد اضطهادهم لتمسكهم بعقيدتهم الدينية.

كان الآباء الذين أسّسوا الولايات المتحدة يتصفون بالطهارة والتزمت والاقتصاد والتقشف الشديد.

هناك طوائف بروتستانتية تدعى (كواكر) زالت بعد قرنين ولم يبق منهم إلا القليل، هذه الحركة الدينية غزت العالم ولكن أمريكة نست ماضيها الطاهر.

كل تنمية أوروبة الشمالية والوسط الأوروبي كانت تعتمد على الأخلاق البروتستانتية مثل ما تحدث عنها ماكس ويبير، لكن هذا

يريدون نسيانه اليوم في مجتمع لا يريد إلا إشباع رغباته فوراً ومن أسهل الطرق.

اليوم أصبح الدين دون قيمة في الغرب، هذا هو الفرق بين المسيحية والإسلام المتضاربين: البعض يعد الدين عاملاً سلبياً، والآخرون يعدونه عاملاً إيجابياً، في الوقت الراهن يبدو أن الغرب هو الرابح، لكنه ربح باستغلال الشعوب الذين لا يشاركون هذا الرخاء الاقتصادي بالإضافة إلى استغلال وتدمير الطبيعة.

المعروف أنه لا يمكن أن تستمر هذه الطفرة الاقتصادية إلى الأبد لأن هذا النمو شيء ضروري سياسياً واقتصاديا مثلها مثل قاعدة سباق الدراجات، يجب التدريب على الدراجة للمحافظة على التوازن، إذاً توقف الإنسان وقع.

* التجاذب والتنافر بين الغرب والإسلام

جاك نيرنك

أمام هذا النجاح الواضح بقي المسلمون ممزقين، ربما البعض منهم فقط، فالغرب يغريهم وفي الوقت نفسه يعتقدون أنهم إذاً وقعوا في فخ هذا الازدهار لا بد من التخلي عن اعتقاداتهم الفكرية والدينية. هناك علاقة تجاذب بين الغرب والإسلام، علاقة مقاومة، وحب وكره في الوقت نفسه. هذا ما يفسر بعض ردّات الفعل العنيفة، فالإرهابيون الجزائريون وإرهابيو طالبان الأفغان هم أحسن من يمثل هذا التطرف

الأعمى، حتى هؤلاء الإرهابيون لا يعبّرون إلا عن ردة الفعل ضد الغرب، فهم رجعيون بكل معنى الكلمة، لو كانوا متمسكين بعقيدتهم كما يجب لما تصرفوا بتطرف حتى أصبحوا مكروهين من كل العالم، وأصبح الناس ينظرون عبرهم إلى الإسلام نظرة سيئة، لو تمسكوا بعقيدتهم كما يجب لكانت مساندتهم أقوى للمسيرة الإسلامية للتنمية الاقتصادية، المؤمن الحقيقي هو ذلك الذي يتحلى بالصبر وينتظر قرناً أو قرنين ليتأكد من الاقتصاد الأقدر على الصمود أمام الأحداث.

طارق رمضان

أنا موافق على كل ما قلت. المشكلة هي مشكلة تجاذب وتنافر، الجنوب تجذبه المعجزات التكنولوجية التي حصلت في الشمال. هذا أمر طبيعي: هناك شيء من السحر والإغراء في الوقت نفسه، وفي الوقت نفسه الجاذبية تولد التنافر حتى أصبح كالعدوى، عدوى تتسم بالعنف أحياناً، أما الإحساس المشترك فهو التخلي عن حب الذات، والتخلي عن الحرية، عند الإحساس بالجاذبية لا تتحمل أن تجبر على تجاهل الهوية تحت ضغط الأمواج التي تجرفنا.

العنف في هذه الحالة هو نوع من المحادثة بخصوص ما نشعر به من قيود وجمود، والإجابة توجد في التعهد على الأمد البعيد. تعهد مؤمنين متمكنين، مقاومين يتّسمون بالرزانة ويتحلون بالصبر.

يجب تجاوز مرحلة ردة الفعل القوية واقتراح مشروعات متناوبة في الميادين الاقتصادية والتجارية والتسيير الاجتماعي والإنساني، كل

شيء يثبت لنا اليوم أن النمط الاقتصادي الغربي لا يصلح لكل العالم، يجب إيجاد شيء آخر: لما نتمسك بالعقيدة معنى ذلك تحمل المسؤولية بالكامل في مجال المبادرة والاختراع، يجب الابتعاد عن العمليات السحرية للتنمية كما يجب الابتعاد عن التقدم الأعمى، يجب على المسلمين التحلي بالثقة والتمسك بالمهمة المنوطة بهم: باسم العقيدة يجب إثبات عزمهم غير المحدود لتسيير العالم والتعامل مع الآخرين.

جاك نيرنك

أتمنى أن ينتهي كتابك قائلاً: في الحقيقة يجب أن نتصدى لكل من هو قوي كما نتصدى للعالم الغربي غير الإنساني، معنى هذا مقاومة الذات ومقاومة ما نريد أن نكون.

* هناك وضعان للإسلام

جاك نيرنك

أريد أن أقترح التكلم عن موضوع مرتبط بما قبله. هناك تعايش بين العالم الإسلامي والعالم المسيحي، هناك وضعان: وضع خاص بالبلاد ذات الأغلبية المسلمة، حيث هناك تسامح بين المسلم والمسيحي واليهودي، هذا التسامح يتصدع من حين إلى آخر. الحالة واضحة جداً: في هذا المجتمع الإسلامي يمكن بناء القانون وبناء مؤسسات واقتصاد، كل هذا بتوافق كامل مع القيم الدينية، مع ذلك يجب التمسك بالحذر من تدفق القيم الغربية. في عدة مرات وأثناء التاريخ الحديث حدث ما يسمى بالتطرف البارد مثل الثورة الإسلامية الإيرانية.

الحالة الثانية هي البلدان ذات الأقلية المسلمة مثل ألمانية وفرنسة حيث يوجد نحو 10% من المسلمين يسبحون في عالم كان يدين سابقاً بالمسيحية، هنا توجد صعوبة كبرى لأن المسلمين مجبرون على الانحناء أمام المؤسسات وأمام القانون وأمام الاقتصاد ، مع أن كل هذا يتنافى مع قيمهم.

لنتحدث عن مشكلتين، كيف يمكن للإسلام أن يقبل بعض القيم وبعض المؤسسات الغربية دون التنكر لمعتقداته؟ كيف يمكن قبول الوجود الغربي في هذا الوضع؟ وكيف يمكن للعربي التأقلم في بلد معاد له باسم الحياد الديني؟

لنأخذ أولاً البلاد ذات الأكثرية المسلمة، ابتداء من الآن فصاعداً ما هي أمنيتك؟ هل تعرف بلداً مسلماً يتصرف حسب ما يرضيك؟ وهل يوجد بلد قريب مما يتمناه الإنسان ولا يتنكر له؟.

وهل يوجد بلد إسلامي يحترم عقائد الديانات الأخرى؟

طارق رمضان

أنت تعرف أني من أشد الناقدين للدول الإسلامية ولكني أمتنع عن الكاريكاتورية، لقد تكلمنا عن بعض البلدان التي أعدها من النوع المعاكس، المملكة العربية السعودية مثلاً تعد الحصن الذي يتولى الغرب حمايته: بالنسبة للمسلمين فالمملكة العربية تمثّل كل شيء، لكنها لا تعد من الدول المثالية في التسيير السياسي.

obeikan.com

أفغانستان الشيء نفسه، بالرغم مما كل ما يريدون إثباته لنا هنا، في الخفاء وتحت الكواليس يريدون تشويه سياسة التسيير لطالبان ولكي تتمكن أمريكة من السيطرة على البترول وسط آسية بمساعدة باكستان والمملكة العربية السعودية، ونقدي ليس موجه ضد هؤلاء فقط بل موجه أيضاً إلى تونس والجزائر وتركية، وسورية، ومصر، ودول أخرى تمارس الدكتاتورية بشكل صريح، على الرغم من حذري الشديد لا أستثني إلا إيران من هذا الانتقاد، وكذلك ماليزيا والسودان، على الرغم من هذا لا أنتقدهم بسذاجة وكذب مثل ما يصورهم الإعلام الغربي، الكاريكاتورات والدعايات المبالغ فيها لا تتوقف بالإضافة إلى شبكة أكاذيب أيديولوجية لا تحصى.

ليس لدي تصور أقترحه لكن اليوم لدي أسئلة موجهة إلى الغرب، يجب أن نكون واضحين ونختار شيئاً من اثنين... إما أن نعترف بحق الدول ذات الأغلبية المسلمة بالتصرف مثل ما تملي عليها هويتها ووضع نظام ملائم لهويتهم الوطنية، أو الاعتراف بأن الحافز الوحيد الشامل هو المحافظة على مصالحهم فقط مهما كان الثمن حتى بتجاهل ديانة الآخر وثقافته.

التاريخ يعترف أنه لا يمكن تحديد مصير العالم الإسلامي دون الاعتراف بثبات المراجع الدينية والثقافية، مثال على ذلك وضع تركية: بعد ستين سنة من نظام شبه أوروبي تم وضعه بالحديد والنار والإعدامات بقي المرجع الإسلامي راسخاً في عروق تركية، غداً يمكن للمعارضين للنظام التركي اللجوء إلى العنف ومجابهة (المتنكرين للإسلام) أولئك الذين يحكمون البلاد بالقمع والقتل.

* يجب الاهتمام أكثر بالأنظمة السياسية

جاك نيرنك

إذاً أرادت دول الشمال تحضير المستقبل يجب عليها تغيير نمط تسييرها للتقليل من النظر إلى مصالحها على المدى القصير فقط، والأسئلة المطروحة هي: هل الغرب مستعد لتخفيف سيطرته على الغير؟

هل نحن مستعدون لتنفيذ ما نص عليه قانون حقوق الإنسان؟

وهل نحن مستعدون للكف عن مساندة الأنظمة الدكتاتورية والتهرب من الخطابات التي تتّصف بالنفاق حين يتعلق الأمر بالعدل والمساواة؟

لا نسخر من أنفسنا لأن الغرب ليس على استعداد لكل هذا، أنا أنتقد البلاد الإسلامية، ولكن نفاق الأنظمة الغربية أثار اشمئزازي إلى أقصى الحدود، يريدون أن أحجب نظري عن العالم الإسلامي، كل الجرائم التي ترتكب باسم الإسلام بينما من خلفي وفي الكواليس الأنظمة الأوروبية الذين يدّعون أنهم أساتذة العالم تفاوض وتتعامل مع أكبر الطغاة، وأكبر المجرمين في العالم.

وهناك أكثر من ذلك، أتعرف أنك وضعت نفسك في كماشة: أنا لا أتوقف عن انتقاد أنظمة مثل السعودية وتونس مروراً بليبيا وسورية وغيرهم، لقد سمعت ذلك منذ بداية هذا النقاش.

بوصفك رجل عقيدة ذا عزيمة ثابتة أنت تعد موقفي من هذه

الأنظمة عادلاً ومستقيماً.

ولكن هل تعرف خلاصة كلامنا في هذا الموضوع.

هذا النوع من الكلام حتى الغرب لا يريد سماعه، لما انتقد ملوك البترول ومصر والجزائر البعض يُربِّتُ كتفي تشجيعاً لي، مع العلم أن الحكومة الفرنسية والإنجليزية والبلجيكية حتى السويسرية ينظرون إليَّ نظرةً سيئةً، انتقادي لهذه الأنظمة يحرجهم والأنظمة التي أنتقدها تعمل كل ما في وسعها لإسكاتي، فالصفقات المالية التي تعقد بين هذه الأنظمة لها قيمة أكثر من الكلام الجارح الذي أوجهه إلى هذه الأنظمة... كل ما أقوله لا يساوي شيئاً أليس كذلك؟

والأخطر من ذلك، تقوم هذه الدول بتلفيق الأكاذيب ضد من يرفع صوته: إنه متطرف متنكر صاحب مبادئ ذو وجهين ولغتين، وهكذا يتجه كل اللوم إلى الشخص نفسه، أنا أعيش هذا الوضع يومياً، الكثير من الادعاءات الكاذبة والإشاعات يطلقها مثقفون أصحاب الأفكار النافذة الذين يدّعون أنهم يدافعون عن (الأيديولوجية الطيبة) أو يطلقها صحافيون (أحرار) يستقون معلوماتهم من مراكز الاستخبارات الحكومية الذين لا يهمهم الأمر الذين يقومون بتزويدهم بأسرار محمصة وجاهزة للاستهلاك، كل ذلك من أجل إفشاء (الحقيقة).

أي حقيقة؟ من هو الذي يلقي خطابين اليوم؟ خطاب ضد مرتكبي أعمال الرعب والدفاع عن العدالة، والقانون، والانتخابات الحرة والتعددية، وآخر ضد الحكومات التي هنا تدافع عن الديمقراطية

وهناك تتواطأ مع من يزرع الرعب.

لا نطالب اليوم بوضع صيغة موحدة للتسيير السياسي والاقتصادي والاجتماعي. بل يجب الدفاع عن المبادئ الثابتة، أشير إلى ثلاثة منها يمكن أن نتفق عليها: القانون، حقوق الشعوب في اختيار من ينتخبونه ومن سيمثلهم، ومبدأ التعددية وحرية الضمير، أظن أنه يجوز مساءلة المسلمين حول هذه المبادئ وأتمنى أن تكون إجابتهم واضحة، يجب أن نجد صورتنا في هذه المبادئ الأساسية.

الإسلام ليس مسؤولاً عن تدمير المجتمعات المعاصرة، يجب الكف عن هذا التحليل الساذج وأخذ كل العوامل التي تتدخل في التاريخ بعين الاعتبار، والسياسة والشؤون الاجتماعية والاقتصادية.

من جهة أخرى يجب أن نعرف أنه يوجد اليوم في العالم الإسلامي معارضون شرعيون يرفضون العنف ويريدون الولاء إلى الإسلام والتصدي إلى الدكتاتورية، ويريدون إقامة دولة القانون بعد انتخابات حقيقية، هناك ضجة في الغرب لأنهم يريدون وضع كل العالم في خندق واحد، (كل المتطرفين) وكل (الأصوليين)، فهمت الحكومات الغربية أن مصالحها محمية من طرف حكومات دكتاتورية أكثر من الحركات الشعبية أو بالأحرى الحكومات الإسلامية حتى الديمقراطيين منهم، لا شيء آخر يهمهم، إذاً حصلوا على ما يهمهم تبقى كل الخطابات للتغطية الأيديولوجية لا غير.

عندما نتطلع إلى العالم الإسلامي اليوم ينتابنا القلق، ماذا أزيد عن ذلك؟ لكن الأشياء تسير إلى الأمام شيئاً فشيئاً، لقد تكلمت كثيراً عن الوضع في إيران، وقلت إنه يجب انتقاد هذا الوضع على جزء كبير من التسيير الديني، والاجتماعي والسياسي بشرط أن نبقى موضوعيين وصادقين، بالنسبة للحريات السياسية ومشاركة المرأة هذا البلد متقدم بكثير على مصر وتونس والمملكة العربية السعودية حلفاء الغرب، منذ عشر سنوات هناك تقدم واضح وشفّاف وعجيب، هناك ثورة داخل ثورة، وهذا غير كاف لكن لنعترف أن إيران أصبحت دولة القانون والمشاركة الشعبية هي أفضل من كل الدول الإسلامية، والحركة النسائية لا يوجد لها مثيل في العالم.

جاك نيرنك

حسب ما فهمت المثال الذي أشرت إليه لا يخص بلداً معيناً لأنه ليس هناك بلد مثالي، كما أنه ليس هناك أي نظام سياسي مثالي، يبدو أنك فصلت إيران على الآخرين لأنه أفضل ما هو موجود والأقرب إلى ما نتمناه في بلد ذي أغلبية مسلمة.

طارق رمضان

لا، لا، أنا لا أتكلم هنا عن بلد (مثالي) أريد فقط توضيح أن الإسلام ليس مصدر جمود وعقيدة وانغلاق بل العكس لأن إيران هي الدولة الوحيدة من بين دول المنطقة التي شهدت تقدماً على كل المستويات وليست من الدول الإسلامية الأقل ديمقراطية.

يمكن القول إنه داخل الدول الإسلامية بدأت الأشياء تتحرك، اليوم أصبحت الدول التي تفرض نظاماً شبه أوروبي هي التي أصبحت تتسم بقلة الحركة، كما أصبحت البوادر الاجتماعية والسياسية والاقتصادية تقبع تحت وطأة تسلط السلطة.

عكس ما يقال، الدول التي تشبه إيران بالرغم من كل عيوبها لا تعد الأقل ديناميكية ولا الأقل تطوراً.

من جهة أخرى يجب التفاهم على مفهوم (التطور)، هل يقاس ذلك بتسرب صيغ الأنظمة الغربية، أو بالاندفاع الديناميكي الشعبي الحكومي رغبة في التجديد الاجتماعي والسياسي والقضائي والاقتصادي؟

لقد تكلمنا عن إيران. لنتحدث أيضاً عن ماليزيا أو التعبئة بإندونيسيا، حتى السودان الذي يجب أن ينتقد بخصوص تسييره السياسي (مع رفض للتحاليل الأسبوعية) التي تبث الدعاية الموالية لمعارضة الولايات المتحدة) حتى هذا البلد المسكين نجح في إقامة مشروع زراعي لإنتاج مواد غذائية بمشاركة كليات جامعية محلية، وكانت النتيجة ارتفاع النمو الاقتصادي بنسبة 13% بالرغم من الحصار الذي فرض عليه.

حتى صندوق النقد الدولي أشاد بهذه المبادرة الطيبة، وفيما بعد تم تجاهل هذه الأرقام لأن السودان رفض التعامل مع الولايات المتحدة.

كل هذا يجبرني على القول إن الإسلام ليس عقبة، بل بالعكس، يمكن أن يصبح أداة صالحة لتعبئة شعبية واجتماعية إذاً توافرت

الحرية والقانون، مرة أخرى مشكلة الدول الإسلامية وتلك التي تكلمت عنها بصفة خاصة وغيرها من الدول ليست في الإسلام، لكنها في تخلي الحكومات عن المبادئ والقانون والتعددية السياسية.

جاك نيرنك

هل هناك بلد مسلم آخر قريب من المثالية وينتمي إلى دولة ذات أغلبية مسلمة، وفي الوقت نفسه يحاول العيش في توافق مع بقية العالم؟ هل ترى بلداً آخر؟

طارق رمضان

لقد أشرت إلى ماليزيا، لقد زرت قريباً هذا البلد، وانطباعي نحوه معتدل، طبعاً هناك بوادر اجتماعية واقتصادية مهمة جداً: البلد يتحرك والنمو رهيب، لكن ما يضايقني هو صيغة التنمية المقترحة، فهي بوضوح عبارة عن (مجتمع استهلاكي) يعيش على الطريقة الأمريكية معطرة بعطر إسلامي، شيء محير، لكن لا أعتقد أن هذا هو الطريق الصحيح، أظن أنه من الأفضل اقتراح صيغة بعيدة عن الصيغة الغربية مبنية على الإنتاجية والاستهلاك.

* الديناميكية القومية في الإسلام

جاك نيرنك

أنا لا أريد التكلم عن دول أو بلدان معينة لاستخدامها أمثلة، ما يهمني اليوم أو ما يمكن أن أسميه (الديناميكية القومية)، في العديد من الدول

obeikan.com

الإسلامية هناك تعبئة شعبية واندفاع هائل لإنشاء تعاونيات تنمية ذات طابع فريد، ومؤسسات صغيرة ومتوسطة، أو مشروعات زراعية تعبر عن قوة اندفاع المثقفين وجزء كبير من الشعوب الإسلامية.

لقد سافرت قريباً إلى غرب إفريقيَّة ولاحظت تكتلاً شعبياً كبيراً في المدن والقرى، هناك مشروعات داخلية مختلفة، اجتماعية تربوية واقتصادية تم إنجازها محلياً، والملاحظ أن المشروعات نفسها تم إنجازها في أماكن أخرى بالرغم من عمليات القمع الموجودة في هذه البلاد مثل مصر، وسورية، وإندونيسيا، هذه التعبئة القومية مهمة جداً وحيوية خاصة وأنها بعيدة عن النوع الاستهلاكي المفروض من الغرب، إنها مبنية على الانفصال عن الغرب باسم القيم الإسلامية.

يجب أيضاً ملاحظة شعبية هذه التعبئة التي توحي بعمليات تجديد وتشير إلى تعهد المواطن لتحقيق التنمية الشاملة.

كما يجب الإشادة بهذه (الديناميكية)، أعتقد أن هذه المشروعات بعيدة كل البعد على الادعاءات الحكومية الكاذبة، لذا فأنا مع هؤلاء الذين يقومون بهذه المبادرة الشجاعة والقوية. الشيء نفسه حصل في العديد من الدول بصفة متلاحقة، في رأيي هذا هو ما يجب التعهد به، فالمستقبل دون شك هو هذه الديناميكية الشعبية التي تسهم في الميدان التربوي وتحظى بتضامن شعبي هائل يسمح بالقيام بثورة لتغيير العقليات، المرجع الأساسي هنا له دور فعال وحاسم وديناميكي، دور المبدع وهو العامل الأساسي الذي يبنى عليه أي تعهد، هناك أيضاً حركات نسوية تطالب بحقوقهن ويشاركن في هذه الحركة الشعبية.

النساء هن اللاتي يقمن بالمشروعات الزراعية المشتركة ، ويحققن مردودية مرتفعة بثلاثة أضعاف أحياناً على تلك التي يحققها الرجال، لقد تحقق ذلك في السنغال، أغلبهن مسلمات ملتزمات ومتعهدات، يتحلين بالشجاعة الكافية للتخلص من بعض العادات المزيفة باسم الإسلام، هذا شيء مهم جداً، هذه مشروعات محلية متعاقبة مضادة للاقتصاد الليبرالي المدمّر، من جهة أخرى وعلى مستوى السياسة هناك بنية سياسية مبنية على التشاور والإسهام وهي في رأيي صيغة وطنية ومحلية.

جاك نيرنك

هذا صحيح، بدلاً من الاستمرار في لعبة المساءلة حول المراجع يمكنك إيقافها وإعادة الأسئلة إليَّ. كان بإمكانك أن تسألني إذاً كان هناك تدرج بين الدول التي تدّعي أنها مسيحية أو ذات تقاليد مسيحية، وهل هناك من هم أقرب إلى الكمال المسيحي.

سوف لا أتردد كثيراً للإجابة على سؤالك.

هم الدول غير المحايدة، مثل الدول الاسكندينافية، سويسراً، هولندة، عكس الدول التي استخدمت المسيحية لغاية سياسية، مثل إسبانية في عهد فرانكو، والبرتغال في عهد سالزار، وإيطالية في عهد موسوليني، وفرنسة في عهد بتان، واليونان في عهد العقداء، والأرجنتين في عهد انغاني، والشيلي في عهد بينوشي.

أنا أعتقد أن هناك دولاً ذات تقاليد مسيحية أقرب من غيرهم فيما أنجزوه سياسياً، سوف تتأكد من ذلك بعد سماع الأمثلة التي سوف أعطيها، هناك أنظمة تسير بخطى بطيئة باتجاه المملكة الإلهية على الأرض، وهناك أخرى تبتعد جذرياً.

بصفة عامة كلما ابتعدت المسيحية عن السياسة كلما زاد تمسك الناس بها في الواقع، هذه نظرة شاملة عن تدرج الدول المسيحية.

* الإسلام في حالة حرب كامنة

جاك نيرنك:

عند مواجهة الإسلام وتشعب سياسته، أواجه الكثير من الصعوبات بالرغم من إجابتك على أسئلتي، من جهة فهو دين السلام، والأخوة، وتسامح القرآن، ومن جهة أخرى هناك حالات مرضية تنمو وتتطور في كل الاتجاهات، مثل الإرهاب والترهيب الذي اجتاح الجزائر وأفغانستان والسودان، هناك دول لا يوجد فيها إرهاب مثل ليبيا التي يحكمها رجل مريض عقلياً، أما الدول القريبة من الغرب مثل تونس وتركية فلا تستحق أن تكون أمثلة يُقتدى بها سياسياً.

يبدو كأن الإسلام في حالة حرب كامنة، أولها الحروب الأهلية داخل بعض الدول. ثانيها الحروب بين بعض الدول الإسلامية مثل الحرب العراقية الإيرانية، فالعالم الإسلامي يبدو كأنه خلية نحل تتأهب لقتل بعضها البعض أو لضخّ سمومها خارج الخلية.

obeikan.com

عند وجود مشكلات في الجزائر تقوم فرنسة بحذر بمحاولة تلقينها دروساً في الأخلاق. وفي هذه الأثناء يتصور الإرهابيون أنهم قانونياً لهم الحق في الرد على فرنسة بإلقاء قنابل في شارع الشنزليزيه الشهير، هذه التغيرات الفجائية يمكنها توليد سوء تفاهم مستمر، فالإسلام يعد في الغرب عاملاً من عوامل عدم التوازن في العالم، هناك من يستخدم هذه الظاهرة لتغطية عدم التوازن الداخلي.

طارق رمضان:

لمعالجة هذه المسائل يجب قراءة الأوضاع جيداً، صحيح أن هناك في العالم الإسلامي اليوم نزاعات واضطرابات ومشكلات تحتاج إلى حلول ، يجب أولاً ألا ننسى أن أغلب الدول الإسلامية تنتمي إلى الدول المتخلفة.. الفقر، والبؤس، وظاهرة الاختناق السياسي، كلها مصدر اضطراب.

هذا هو الشق الأول من هذه المسألة أما الشق الثاني: هو التدخل المباشر وغير المباشر للدول الغربية لحماية مصالحها، لذا يجب التعهد بإجراء تحليل جغرافي سياسي بعيداً عن البساطة والسذاجة.

لنأخذ فوراً ثلاثة أمثلة:

الوضع في الجزائر لا يزال متأزماً ولم يجد حلاً؛ لأن خلف هذا هناك علاقة تاريخية بين فرنسة والجزائر، ولا تزال هذه العلاقة راسخة في ذاكرة الطرفين؟

لقد أجريت انتخابات متعددة الأحزاب في الجزائر وانتهت بانقلاب خفي، بعد الانتخابات مباشرة تم توقيف برلمانيين منتخبين، وآخرين تم تعذيبهم أو نفيهم والعالم يتابع هذه الأحداث دون تحريك ساكن، حتى الحكومات لم تحرك ساكناً، ما عدا المملكة العربية السعودية التي باركت للسلطات الدّموية، أصبحت عمليات التوقيف والتعذيب عادة لدى السلطات الحاكمة، وباركت السلطات الفرنسية للحكومة الجزائرية المعروفة بعملياتها القمعية، سواء كنا مع أو ضد الجبهة الإسلامية للإنقاذ ،ومع أني أجريت حواراً مع بعض أنصار هذا الحزب في أوروبة وأمطرتهم بالانتقادات، لا يمكن السكوت أمام هذا الظلم الصريح، وعدم الاعتراف بحقوقهم، يجب أن نكون واضحين: يجب التنديد بحزم بالجماعات المتطرفة، كما يجب توجيه الانتقاد للمسيّرين الحكوميين الذين تسيطر عليهم جماعة من المافيا العسكرية التي تمارس الرعب والاغتيالات، ولكن ماذا نلاحظ، السلطات الغربية تنظر ببرودة عندما يجب التنديد بسياسة الحكومة الجزائرية وأولها فرنسة التي لها علاقة قوية مع بعض الضباط غير الجديرين بالاحترام، الذين لهم تاريخ حافل بالاغتيالات غير الإنسانية.

من هو إذاً المسؤول عن الاضطرابات في العالم الإسلامي؟ هل هم المسلمون وحدهم؟ لا لنكن جديين ونحدد أسرار اللعبة، بعد عشر سنوات من العنف لم تصب المواقع البترولية بأي سوء، ماذا نسمي ذلك؟ حتى صندوق النقد الدولي يدعي بأن مذابح المدنيين في انخفاض وأن الجزائر من التلاميذ الجيدين الذين يسيّرون باقتدار برنامج

تعديل الديون المترتبة عليها، شيء غريب هنا والأغرب من ذلك أن خط نقل البترول الذي يقطع جزءا كبيراً من شمال إفريقيَّة تم بناؤه وقريباً منه يقتل الأبرياء.

(أمنستي أنترناسيونال) أو الفيدرالية الخاصة بحقوق الإنسان تشك في تصرف السلطات الجزائرية لكنها تتصرف بدورها كالأعمى الذي لا يرى ولا يبصر، لهذا كان من السهل انتقاد الإسلام والمسلمين وعدم التنديد بلعبة الغرب ومسؤوليته في لعبة الرعب واستمراريته.

وماذا نقول عن طالبان الذي تساندها الاستخبارات المركزية الباكستانية التي تعمل بدورها لصالح الاستخبارات الأمريكية؟ هنا أيضاً هناك خط لنقل البترول يقطع كل البلد حتى يصل إلى آسية الوسطى، من يساند هؤلاء المسلمين الرجعيين المنعزلين؟ من يساند أنصار الإسلام المقصرين في حق الإسلام نفسه؟

الجواب بسيط: ما دام الغرب يحافظ على مصالحه المالية، والجيوستراتيجية فلا يهمه تقدم الشعوب ولا انفتاحهم، ولا الديمقراطية ولا حقوق الإنسان، لا يمكن أن تكون ممثلاً وصانعاً للتدهور في الوقت نفسه كما لا يمكن أن تلعب دور المشاهد الحزين المتأثر عند حدوث الأحداث وتقويمها.

ليس من حقنا تحميل المسؤولية للمسلمين، ولكن يجب الاعتراف على الأقل أن المسؤولية مشتركة، ظاهرة العنف المرئية لا يجب أن تحجب عن أعيننا العنف الحقيقي الذي تمارسه الدول العظمى على الدول

المحرومة، لا يجب تقويم العنف بوجود الأسلحة فقط، بالعكس يجب عد العنف مصدراً للآلام والجرائم المنتشرة على الأرض.

من هو اليوم أكبر ممارس للعنف في الأرض؟ يجب الحذر من الأوهام البصرية، صور العنف التي تعرض بالتلفزيون لا تطاق، ويجب الكف عن بث هذه الانحرافات.

لكن مخاطر تدفق الأموال الخفية، والتسيير السياسي الذي يتم في الكواليس لهما عواقب دراماتيكية، إن ثقافة الصور تقضي شيئاً فشيئاً على عمق تحاليلنا، وبصورة خطيرة.

كلمة أخرى عن السودان، هذا البلد الذي أشرت إليه مرات عديدة، كل شيء يجري وكأننا نعرف كل شيء عن هذا البلد، ولكن من الذي يعرف ماذا يجري فعلا في هذا البلد؟

الدعاية الأمريكية لا تتوقف، وتقول كل شيء ولا أي شيء عن هذا البلد. هذا شيء خطير. في الوقت المناسب تم إصدار الأوامر للطائرات الأمريكية لقصف وتدمير مصنع أدوية أمام أنظار العالم أجمع، وفيما بعد رفضت أمريكة تعيين لجنة تحقيق للتأكد من وجود مواد كيمائية مخصصة للأسلحة أم لا، لقد سافرت إلى السودان ووجهت لهم انتقاداً لقلة الحرية السياسية ولكن هذا لا يسمح لي بأن أقول أي شيء، الوضع في الجنوب السوداني لا تتحمل مسؤولياته السلطات السودانية الحالية، الكل يعرف أن بريطانية وسياستها الاستعمارية هي التي تعمدت خلق

هذا الوضع بين الشمال والجنوب، بالإضافة إلى أن هناك حرباً دينية، هنا أيضاً هناك أكذوبة كبيرة، هناك تحالف واضح بين الولايات المتحدة وبعض التكتلات المسيحية (أفكارهم غير واضحة بخصوص عمليات التبشير، والتبشير بالإنجيل)، الغرض من هذا التحالف هو التنديد بالحكومة السودانية (الإسلامية).

ماذا نقول إذاً؟ هل هي حرب دينية؟

المصالح الكبيرة هي التي وراء كل ما يجري، والسودان له مكانة استراتيجية في إفريقيَّة، إذاً أجرينا مقارنة بين السودان وغيره نجد أن السودان نظام بوليسي لكنه أقل دموية من جارته مصر أو تونس أو سورية، عدم ولائه لأمريكة وتمرده عليها هو المشكلة، وهذا هو سبب الحصار المفروض عليه اليوم، يجب زيارة السودان والتأكد من الواقع على الأرض، والكف عن إجراء تحليلات سخيفة وموجهة.

يجب أن تفهموني جيداً، أنا لا أساند السلطات العسكرية في الخرطوم، سواء في الميدان السياسي أو الجنائي، الحزبية منتشرة انتشاراً كبيراً، الحرية السياسية نسبية، والفقراء والمهجّرون منبوذون إلى حد غير مقبول، انتقادي واضح، عدد الموقوفين السياسيين الذي قدمته لي السلطات السودانية لتبرير موقفهم وكسب تعاطفي معهم لا يهمني كثيراً، لو كانت هناك امرأة واحدة أو رجل واحد موقوف لمبادئه السياسية فهذا غير مقبول، وهذا هو الواقع في السودان، التعذيب والتنكيل من العمليات التي لا تحصى ولا تعد.

obeikan.com

اسمحوا لي بطرح سؤال آخر: من يريد اليوم إقامة تعددية إسلامية، متفتحة وحرة؟ من يصارع على إقامة العدالة وتطبيق القانون؟

لا يمكن مساندة الإرهابيين ومطالبة الشعوب بالصمود، لا يمكن الوقوف مكتوفي الأيدي أمام قتل المفكّرين من قبل بعض السلطات، والتأسف على ندرة المثقفين الأحرار، يبدو لي أنه يجب الوقوف ضد كل الإرهابيين، مجموعات أو حكومات وتشجيع التربية، والثقافة، والحرية، والنضال لضمان احترام رأي الشعوب حتى لو كانت هذه الشعوب ضد المصالح الغربية، بالإضافة إلى هذا يجب اتخاذ موقف صريح بالنسبة لإسرائيل وسياستها؛ لأن هذه الحكومة الصهيونية مصدر اضطرابات في الشرق الأوسط.

الحكومة الإسرائيلية تتصرف كما تشاء مع جيرانها، وتسخر من الفلسطينيين (ومن العالم..) وتبيح التعذيب (المعقول)، هل يمكن السّكوت أمام هذا الواقع، ليس هناك أي شيء يستحق تفسيره؟ معاً يمكن أن نضع بيداغوجية للّتمييز بين الحق والباطل والصمود أمام الأحداث.

يمكن اتهامي بأني لا أعترف بمسؤولية المسلمين في كل هذا. هذا ليس صحيحاً، أنا لا أكف عن الإشارة إلى أفكارنا المفلسة، وتسييرنا الخاطئ وتعهداتنا، إني أردد ذلك في كل كتبي، وكل محاضراتي، ومقالاتي.

مثلما قلت يجب أن نعي وبأسرع ما يمكن أن المسؤولية مشتركة.

* كل واحد مسؤول عن نجاحه أو فشله

جاك نيرنك

أنا مستعد للاعتراف بالذنب على كل ما ارتكبه الغرب، وأولها استعمار الدول التي تحدثنا عنها قبل قليل.

هذا الاستعمار خلّف جروحاً عميقة في ثقافات البلد المستعمر، لكن ذلك حصل في الماضي بسبب ضعف الدول الإسلامية التي عجزت عن القيام بثورة علمية وثورة صناعية.

ويبقى هذا التحدّي. فالتاريخ لا يعترف إلا بالحضارات الناجحة، بصفة أو بأخرى، في الثقافة، والعلوم، والسياسة أو الدين، إذاً نظرنا إلى الدول الصغيرة غير المنحازة التي تكّلمت عنها وتوجد بأوروبة لم يحصلوا على استقلالهم وازدهارهم كهدية من السّماء، بالعكس لقد كافحوا كثيراً من أجل ذلك.

السويسريون بنوا دولة بعد كفاح مرير مع جيرانهم، وكانوا هذا القرن على استعداد للقتال من أجل المحافظة على عدم انحيازهم والمحافظة على استقلالهم، الشيء نفسه حدث مع هولندة، البلد المسطح، الذي يصعب الدفاع عنه، وأوشك على الاختفاء في القرن السابع عشر تحت ضغط إسبانية التي أرادت أن، تفرض الكاثوليكية على البروتستانت.

الدنمارك والسويد عاشا المصير نفسه تقريباً، كلاهما كافح بالأسلحة أيضاً وأحياناً كان كفاحهم مجرد مقاومة سلبية، مثل مقاومة

الدنمارك الرائعة، رائعة لأنهم قاموا بحماية كل اليهود الذين يعيشون على أرضهم من براثن النازية أثناء الحرب العالمية الثانية، هؤلاء الشعوب يشهدون اليوم رخاء لا مثيل له، لقد قاوموا كل من هاجمهم من الخارج، واستطاعوا إقامة ديمقراطية متعددة الأحزاب تحترم حقوق الأفراد.

هناك فرق بين النمو السّياسي للمسيحية والنمو السّياسي الإسلامي، هذا الفرق هو سبب المواجهة بينهما اليوم، أليس هذا الشرخ الذي حدث بين القرن الحادي عشر والخامس عشر حيث استولى الغرب على المعقول (وغير المعقول) هو الذي تسبب في مفرق الطرق المؤقت الذي حدث بين الديانتين المسيحية والإسلامية.

لنفكر في علم الأخلاق الخاص بالبروتستانت، المبني على بعض سوء التفاهم الديني الذي ينتج عنه نمو اقتصادي أفضل.

حسب معطيات (كلفان) يحدّد مصير كل إنسان عند الولادة، إمّا النجاة أو الهلاك مهما فعل، ليس لهذا أي علاقة برسالة المسيح. وهذه فكرة عادلة (الله هو الوحيد مصدر النجاة)، (ليس للإنسان أي تحكم في مصيره)، بعد أن كانت هذه الفكرة جنوناً أصبحت غير معقولة، ولكن أليس من العجب أن هذا الانحراف أدى إلى رفاهية الشعوب التي اتّبعته؟ ولماذا؟ لأنهم كانوا مضطربين؛ لأنهم كانوا يلجؤون إلى القساوسة ويسألونهم عن فرص النجاة، وكانت إجابة هؤلاء كالآتي: اعملوا دون توقف لنسيان اضطراباتكم، وهذا هو (علم العلاج بالتشغيل).

هذا النوع من النصيحة النبيلة هو نوع من التحايل على الناس لإيهامهم بأن من يعمل ويكدّ ينجح في حياته، وبهذا النجاح يحقق الأمل في النجاة من النار، وخاصة الزاهدين في الحياة الذين يضحون بما تشتهيه أنفسهم من ملذات، والغرض الخفي من كل هذا هو الادخار لاكتساب رأس المال. وهذه طريقة تجعلهم يتخيلون نجاتهم من عدمه.

من الناحية الدينية، هذا نوع من الجنون: فالمسيح لم يقترح على الناس العمل باستمرار بل بالعكس، ولم يوهم أحداً أن النجاح المادي وجمع المال يرتبطان بنجاة الإنسان يوم الحساب، بل العكس أيضاً، إن هذه البدعة مثل بدعة المسيحيين الخاصة بتطهير الأموال، هذا مخالف للأخلاق الفاضلة المسيحية، لكن هذا هو ما حدث، هذا يشبه التطعيم، حيث يتفاعل الجسم ضد هجوم ما ويفرز أجساماً مضادة تكسبه مناعة أقوى، وبهذه الطريقة تسير الأمور وينمو الاقتصاد وتزدهر السياسة.

لو نختار بين سويسرا وأفغانستان، والاختيار سهل وسريع، الفرق بين الدولتين ليس جغرافياً وسياسياً فحسب، فالمسألة مسألة ثقافة، لو نأخذ الأفغان ونضعهم في سويسرة ونأخذ السويسريين ونضعهم في أفغانستان، بعد عشرين سنة يصبح أفغانستان هو سويسرة وسويسرة هي أفغانستان، سوف تعج جنيف بطالبان والنساء المتحجبات وبنوك كابول، هذا واضح جداً.

إذاً هذه الديناميكية الملتوية الموروثة من اليونان هي سبب العلة، هذه الديناميكية غير موجودة لدى المسلمين لأن الإسلام بعيد عن

الثورة، الإسلام لا يتمرد على الله، ولا يتمرد على الطبيعة، كيف لنا أن نفهم الفرق التاريخي بين الحضارتين عبر كل هذا؟

طارق رمضان

أنا لا أوافقك هذا الرأي، لقد سمعت كثيراً هذا النوع من الانزلاق في التحليل وأجد ذلك خطيراً جداً، من العيب أن ننكر أن هناك تأخراً في النمو لدى الدول الإسلامية ولكن لا أعتقد أن ذلك عائد إلى (التخلف الثقافي) أو (التخلف في النمو الثقافي) فالادعاءات مثل (نحن مررنا من هنا) أو (يجب على الإسلام أن يمر بعصر النهضة مثل ما مررنا به نحن) أو (الإسلام يجب أن يعيش في القرون الوسطى أولاً) كل هذه الادعاءات سطحية وتدل على الازدواجية: أولها الغرب يعد أن تاريخه هو العامل الأساسي الوحيد للحصول على النمو (وهذا نفسه موضوع نقاش) وثانيها تجاهل المنطق الداخلي والتطور الداخلي للحضارات الأخرى. وهذا يعد جهلاً للديناميكيات الأساسية والبنية الأساسية لعقيدة وثقافة الطرف الآخر.

إذاً لا يمكن تعميم تخلف الحضارات بعد إجراء معاينة بسيطة للتخلف الاقتصادي، ما يفسر هذا التخلف اليوم هي مجموعة من العوامل التي تحيط بالظواهر الداخلية لانحطاط المجتمعات الإسلامية، التي تكلمنا عنها سابقاً تحت تأثير الاستعمار الذي أخضع الشعوب والحكومات إلى هيمنته السياسية عشرات السنين مثل هيمنته الاقتصادية اليوم، هناك أحداث تفسر تقلبات الموازين التي حدثت منذ نهاية العصور الوسطى وهيمنة الحضارة الغربية نتيجة تقدمها علمياً وتفوقها تكنولوجياً.

من الواضح أن التصور الديني الجديد الذي تم تصنيفه لاحقاً هو الذي سمح بشرعية ما تم إنجازه اجتماعياً وسياسياً واقتصادياً وعلمياً، لكنه لا يعد المصدر الوحيد للنهضة الغربية.

يمكن القول إن التقدم وتحرر الفكر في الغرب كانا موجهين ضد الدين والعقيدة، ابتداء من القرن السادس والسادس عشر تم ملاحظة ذلك لدى الكاتب مونتين ورابلي حتى أصبح الخطاب الديني يساير الفكر الحر الذي سيصبح فيما بعد علمياً بحتاً، وما لاحظناه على المستوى الفكري ينطبق على مختلف الأشغال الإنسانية، الخطاب الديني ساير التطور الذي حدث بالرغم من عدم تعوّد ذلك ذلك سابقاً: كان فيما قبل هو الذي يرسم العقيدة ويحدد ضوابطها، إن تمرد الفكر من جهة ومقاومة الكهنة من جهة تفسر كيف تم التقدم الغربي.

لا يجب أيضاً أن ننسى التأثيرات الخارجية ولا سيما تأثير الفكر العربي الإسلامي.

هناك علاقة توازن بين مختلف الاتجاهات المتضاربة، لا أعتقد أن تحيّز المسيحية والبروتستانتية يكفي لشرح ظاهرة النمو مع أنه أقرّ وشجّع المبادرات الحرة مثل ما حصل تحت تأثير المبادئ البروتستانتية.

أما الحضارة الإسلامية فلم تعرف هذا النمو، بل حصل عكس ما تكلمنا عنه، في القرون الأولى عندما كان تأثير المراجع الدينية قوياً،

كانت هناك أفكار ديناميكيّة، أفكار توحي بالتجديد في الميدان الثقافي وتطالب بالتكلف والتوافق الثقافي والتقدم العلمي.

لقد اتخذتم التاريخ الغربي مرجعاً واستنتجتم أن الدّين عقبة أمام العلوم والبحث العلمي، لكن ذلك لم يحدث في التاريخ الإسلامي بل بالعكس؛ لأن (المعرفة) هي العبادة، ومن يفهم أكثر يتقرب من الله أكثر ويتعبد أكثر، هكذا فهم المسلمون الإسلام.

سوف أضيف إلى كل هذا أن التمرد على الدين الذي حصل بالغرب كان له الفضل في النمو والتطور حسب ما يعتقد الغربيون، ليس هو الحالة الوحيدة التي تسمح بالتفوق على الذات، إن مفهوم الجهاد في الإسلام ينطبق على كل الأعمال، وهو مبني على العقيدة والمجهود والتعهد.

فالعقيدة في الإسلام لا تعني الاستسلام وقبول الفقر والاستغلال، إذاً استطعنا فهم معنى التمرد وضرورته عندما يدعي الدين أن الآخرين هم الأولون في الآخرة (لهذا ماركس كان على حق عندما تكلم عن مخدر الشعوب لأن المسيحية في عهده كانت تخاطب الناس بلغة القبول والرفض)، لذا من الخطأ تعميم ذلك على خطابات الديانات الأخرى.

هذا خطأ منهجي وعلمي خطير.

يقول الكتاب المقدس: (من الصعب على الغني الدخول إلى الجنة أكثر من دخول الجمل في سن الإبرة)، نفس العبارة موجودة في القرآن،

لكن المقصود بالغنى هو كل إنسان متكبر وغير عادل، لأنه ليس من الضروري أن تكون فقيراً لتكون أميناً، فالتحلي بالفقر والزهد في الحياة والتأمل ليست من صفات الإسلام، بالعكس، فهذه رسالة عمل وشهادة في العمل.

في بعض الدول كان للمراجع الإسلامية الفضل في التعبئة أكثر من أي نداء آخر للمقاومة، في عهد الاحتلال الاستعماري على المستوى السياسي مثل ما هو الحال اليوم على المستوى الاجتماعي، كان للمراجع الدينية أثر سحري لتوليد الطاقة والتآزر والتلاحم بين الناس، هذا هو الواقع في العالم الإسلامي والغرب، ويبدو أن المسلمين بدأوا يستعيدون أنفاسهم بعد أن تكالبت عليهم العقبات التي تكلمنا عنها سابقاً، هذا غير كاف لكن التجديد واضح، في العديد من الدول ذات الأغلبية المسلمة الإسلام يضبط الضمائر التي بدورها تخلق التعبئة التي تظهر على شكل مشروعات مشتركة، هذا ما نلاحظه ويصعب على أي ملاحظ أن لا يشهد بذلك، إن الفكر الإصلاحي الإسلامي هو أكبر دليل في العصر الحالي.

جاك نيرنك

لقد أشرت في كتابك إلى عدد من العقبات داخل العالم الإسلامي، سوف أستعرضها بسرعة: غياب الكفايات، وقلة الثقافة السياسية، وغياب الإرادة السياسية، وتفشي الرشوة، لقد فكرت كثيراً في كل هذا.

لي اقتراحات أخرى سأحاول إيجادها، سوف لا أجدها في الظروف الحالية التي تتسم بقلة النضج السياسي، والجهل الثقافي الذي أشرت إليه، وسوف يكون ذلك وفقاً لمصادرها القديمة المشتركة، لو يطلب مني بكل احترام ومحبة مع ما أكنه من محبة لهذا الدين، ما هي نقاط الضعف في الدين الإسلامي مثل ما فعلت بالنسبة للدين المسيحي، أطرح أولاً سؤالاً حول وضع القرآن.. أليس هناك مبالغة في المرجعية الحرفية لهذا الكتاب، كنصوص كتبت في مدة معينة؟ أليس هناك مبالغة في التمسك بالإعجاز مقارنة بما هو مقدس؟

القداسة من خاصية الإنسان، الإنسان مقدس أو غير مقدس: يظهر ذلك عبر تصرفه في الحياة، أما الإعجاز ففيه شيء من الغموض، فيه شيء بين ما هو إعجاز وما هو مقدس، فيه شيء آخر وجوهر آخر.

إن ضعف الإسلام ليس في صرامة قواعده المدونة تدويناً دقيقاً، بل في جمود هذه القواعد المتأكّلة، وعدم اهتمامها بالضمير كما هو في الغرب.

لقد تعلمت من قساوسة المسيحية أن هناك دروساً لتنشيط الذهن والعقل تنمّي اختبار الضمير، وعند مزاولة هذا الاختبار باستمرار يصبح مثل التحليل النفسي، كما يصبح أداة خطيرة، لكنه يبقى اختباراً مفيداً جداً، فالمسيحي عند مواجهة ضميره يجب أن يتغلب على نفسه باستمرار، ولا يعتمد أبداً على التعاليم الدينية.

أنا أعرف جيداً أن ذلك موجود أيضاً في الإسلام. ولكن هل يدرك المسلمون الإدراك نفسه؟

إن عدم التحفيز هذا سبب المأساة التاريخية التي أشرنا إليها في البداية، بالإضافة إلى أسطورة برومنيوس التي تعد عقدة تفتّت القلب بالإضافة إلى أنها أسطورة إبداع. أما عقدة أوديب فهي عقدة الإحساس بالذنب، سواء لم ترتكب إثماً أو تعتقد أنك لم ترتكب إثماً، فأنت مذنب، والشرطي ينتهي باكتشاف المذنب، مذنب القصة، هذه هي أسطورة الإبداع، أسطورة عظيمة وهي أساس الحضارة الغربية.

الغرب شخصية عنيفة، غازية، ولكنه يتمتع بقوة عالمية.

في فيلم (ويرنير هرزوغ) (أغير غضب الإله) نكتشف نموذج العسكري الإسباني الذي يقوم بدوره (كلوزكينسكي) الذي يقوم بغزو قارة ويبدو لنا وكأنه مسكون، لكن المسكون يختلف عن طالبان الأفغان؛ لأنه مرتبط بالمستقبل وغير متعلق بالماضي، أنت تنتقد أيضاً ما تسميه المثالية، بمعنى صيغة معينة للمجتمع الإسلامي مثل ما يتمناه كل مسلم التي تجلت أثناء مناظرتنا هذه، أنتم تعتقدون أن البطالة لا مكان لها في الإسلام وتتناسون أن البطالة موجودة حتى بصفة محدودة.

هذه هي نقاط الضعف التي أراها مع حبي وتقديري لأصدقائي المؤمنين وندمي وخجلي على تصرف بعض المسيحيين. هل هناك بين كل هذه النواقص التي أشرت إليها شيء يدل على سوء فهم وسوء تفسير للإسلام؟

obeikan.com

طارق رمضان

ما قلته مهم جداً، وللمرة الأولى نتعرف إلى هذه الأشياء من زاوية معينة، هناك شيئان... الأول يخص وضع القرآن، بالنسبة للمسلم فالقرآن نزل عن طريق الوحي، لذا فهو مقدّس ولا يمكن تحريفه، فهو المرجع ولكنه ليس بسجن كما يعتقد البعض.

السنة النبوية تقول إنه كل مائة سنة يأتي مصلح لتقويم قراءة المسلمين للكتاب المقدس، فهذا التجديد في الحقيقة المقصود به هو المعنى أي مفهوم ما ورد في القرآن الكريم.

فالنص باق، وتوجيهاته العامة باقية، لكن الذكاء يتطور، وينمو ويتلاءم أكثر فأكثر مع المحيط، فمعنى أي شيء مقدس لا يعني الجمود والبرودة.

في الإسلام كل شيء يفعله المسلم مقدس طالما نحن نفعله ونفكر في الله سبحانه وتعالى، فالمقدس يسكن داخل القلب والذاكرة ولا يقيِّد نشاطنا، هنا أيضاً ما هو مقدس وما هو عالمي يختلفان تماماً، في الإسلام الذاكرة موجودة في كل مكان والقربان المقدس لا يوجد في أي مكان؛ لأن الدين الإسلامي دين ميثاق وليس دين القداسة ولا القربان المقدس، ولا المقدس الذي لا يجب المساس به.

أما الملاحظة الثانية فتخص الأساطير التي أشرت إليها التي أسهمت في بناء الفكر الغربي، ما قلته صحيح ولكنه برأيي ناقص، طبعاً يمكن للإحساس بالذّنب والمبادرة لدرجة المخالفة وتجاوز الذات حتى مرحلة فلسفة (نيتز) مثلاً، فالجمل أصبح أسداً والأسد أصبح

طفلاً.. بريئاً مستقلاً حراً، إن صورة (نيتز) جميلة وجذابة، والحرية لا حدود لها ولا وجود للإله.

* الغرب دون حاجز

جاك نيرنك

لنتقدم في التحليل إلى أبعد ما يمكن، سوف تبدو لنا دون ما نشعر مسألة (الحدود)، هذه هي المشكلة الشائكة المطروحة اليوم في الغرب: إلى أين سوف نذهب؟ من يحدد المعنى والقيمة؟ صورة الطفل واضحة، فهو بريء وحرّ، ولكن من يحدد اتجاهه، ومن يعطيه المعنى والسيطرة على النفس؟

بما إنه يتمتع بالبراءة فهو يُظهر لنا شيئاً من غير المبالاة الخطيرة فالعالم يصبح مجرد لعبة يفعل بها ما يشاء، لا توقفه إلا الكارثة أو التنبؤ والعودة إلى علم الأخلاق والبحث في علوم الأخلاق مثلاً، أو علم البيئة، كل هذه العلوم نشأت نتيجة الإحساس بقرب حدوث كارثة، يبدو أن الصبي ذهب الى أبعد مما يجب، كل هذا بسبب البعد عن المراجع، عن الأصول وعن التقاليد، ولأننا ولمدة طويلة أصبحنا نخلط بين المسؤولية والإحساس بالذنب، وبين البراءة وغير المسؤولية، هذا يدل على التهاون وعدم النضج.

أعمال نيتز الثلاثة أكثر واقعية وأقرب إلى الحقيقة من تلك التي اقترحها علينا (أوغوست شييني) على أمل أن نشهد ولادة رجل جديد يجيد التحكم في الأشياء العلمية.

أما التقاليد الإسلامية فهي مرتبطة بمرجع قوي، فالكتاب المقدس باق ويتطلب من القارئ أن يكون ملماً بالقراءة أو قادراً على استيعابه وفهمه، فالبراءة مرتبطة أيضاً بالمسؤولية، إذاً أردنا أن نحافظ على تهاون الطفولة، لا يمكن أن نتهرب من المسؤولية تلبية لرغبتنا في ذلك، فالقرآن الكريم والسنة يذكراننا التوجيه الصحيح، والحدود التي لا يجب تجاوزها واحترام الفكر والإبداع، والإبداع لا يمكن أن يكون لعبة، ولا يمكن أن نترك أطفالاً يتحملون اللا مسؤولية لكسر هذه اللعبة.

الغرب يعيش اليوم ويفكر بعمق في هذه التساؤلات، يبحث عن المعنى، عن القيم، وعن الحدود، أعتقد أن تاريخ الحضارة هو الذي أجبره على المطالبة ببعض الأفكار وبعض الحالات الخاصة بالإنسان خلافاً للعقيدة ورجال الدين.

المراجع والأصول والتقاليد أصبحت كلها مشكوكاً فيها، لقد أصبحت تشكل عائقاً أمام الحرية وسداً أمام أي تقدم.

يمكن التعبير عن ذلك بما يلي: (المراجع تقتل الحرية)، وأنا لا أوافق على معنى هذا التعبير لأنه يخالف ما نعيشه يومياً؛ ولأن التيار الأيديولوجي مسيطر.

التشبيه جميل، ولكن عاقبته وخيمة وخطيرة مثل الطفل... فهو سلاح أو بالأحرى قنبلة بين أيدينا.

جاك نيرنك

هذا صحيح وهو دون أدنى شك أكبر إفلاس للغرب، أنا أشاركك الرأي.

طارق رمضان

أعتقد أن المراجع التي لا يزال المسلمون يتمسكون بها تحميهم من الضياع أكثر من براءة غير ناضجة ولا مسؤولة، طبعاً إذاً تمت حمايتنا يجب أن نقر أن هذا عائق للتقدم لأن الحصول على كل شيء مستحيل، فالحدود موجودة قبل الكوارث: فهي بيئة قبل البيئة، بيئة وليدة المبادئ لا وليدة الصدمات والكوارث، فهي تفرض علينا شخصاً ذا عالم مختلف، شخصاً واضحاً يتحمل مسؤولياته تجاه خالقه وتجاه ضميره.

أكيد أن المرجع القرآني صارم، ويتطلب تصرفاً واضحاً ودقيقاً ولكن من الخطأ القول إن القرآن فيه جمود وعقيدة فقط، بالعكس، سبق أن قلنا إن أحد أدواته هو العقل البشري الديناميكي المتجدد والمتعطش إلى المعرفة، لكن لا يجب أن نفقد الذاكرة، إن معنى المسؤولية العقلية والفكرية التي تتطلبها المراجع هي عائق ووقاية في الوقت نفسه، فهو الذي يحمينا من أنفسنا أولاً ومن تجاوزاتنا... وكل واحد منا يعرف إلى أين تقودنا هذه التجاوزات.

جاك نيرنك

هذه حدود يجب على كل واحد أن لا يتجاوزها ويضعها بين عينيه.

طارق رمضان:

نعم، هذا هو المعنى الحقيقي للبراءة والمسؤولية الإنسانية كما يجب أن نتحملها.

جاك نيرنك:

وهذا ما لا يدركه الغرب، في الغرب، المقدس اختفى تماماً وأخذ معه كل الحدود.

طارق رمضان:

هذا هو الغرب كما يبدو اليوم، والمفارقة الكبرى أنه مكون من ملايين الأشخاص المتعطشين إلى الإدراك والكرامة.

جاك نيرنك:

قد يأتي وقت يقوم فيه علماء في المخابر بمضاعفة الأجنة البشرية لتصنيع مساحيق التجميل واستعادة الخلايا غير المتميزة لمقاومة التجاعيد، فيما بعد سوف نشمئزّ ونستنجد بكل اللجان الأخلاقية وينتهي بنا الأمر باستنتاج ما يلي: إذاً كانت هناك فرصة لكسب المزيد من المال والموافقة على هذا الالتواء الذي لا أساس له فلا مانع من فعل ذلك.

طارق رمضان:

هذا صحيح، يجب أن نعرف إلى أين يمكن أن نذهب وباسم ماذا نتوقف، فالتعالي في قلب الحياة يعطيك الإجابة ويحدّد لك الحدود المسموحة.

obeikan.com

سوف أذهب إلى أبعد من ذلك وأقول إن عملي سيكون مقدساً إذاً كان موجهاً لله عز وجل، وهنا لا بد من وضع مبدأ عام، لا يمكن أن يخيب أملي في العالم ما دام ضميري حيّاً، والتذكير بالوجود في كل مكان والإبداع المتصنع مستحيل، ووجود المقدس مستمر بصفة ديناميكية وملتزمة.

إن المقدس بداخلي وداخل العالم كله، إذاً كانت ذاكرتي ترافق أي حركة من حركاتي اليومية في أكلي وشربي وتفكيري وحبي.

يجب أن نقبل عندما نفكر في لقاء الحضارات أن المراجع وتصورات الإنسان والحياة والإبداع لا تشبه بعضها.

من جهة أخرى لا يمكن التقليل من أي شيء أمام العقل، أحياناً يجب أن تتحلى بالتواضع وتقرّ وتقول: (لا أفهم) وهذا لا يعني أن نعد تفكير الآخرين شيئاً من الماضي أو من اللا معقول، يجب الاعتراف أن التصورات تختلف، ولا يمكن فهم كل شيء، ويجب احترام رأي الآخرين ما دامت الحقوق الأساسية محترمة.

مع ذلك فلنسأل أنفسنا ماذا نريد، البعض ينتقد النظام ويؤكدون ذلك من أثناء تصرفاتهم اليومية، ينتقدون الفردانية ومع ذلك فهم لا تفوتهم فرصة للاستفادة من هذه الفردانية، ينتقدون جنون العالم والإفراط في التطور والتكنولوجية والعلوم، مع العلم أن تعطشهم للتبذير ليس له حدود، وما هذا إلا علامة من علامات الجنون، لا يمكن المطالبة بالحرية المطلقة ودون قيد ولا حدود والمطالبة في الوقت نفسه بالعدالة.

obeikan.com

هناك آية قرآنية تقول: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا۟ مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾ الرعد آية 11، ماذا نريد إذاً؟ هل هو مجرد إقرار بحسن النية التي تبرئنا في الظاهر من كل تجاوزاتنا؟ أم هو مجرد تساؤل ومناقشة في العمق تنتهي بإعادة النظر في تصرفاتنا؟

هذا هو النوع من اللقاءات التي نريدها، سواء على مستوى الأفراد أو الأنظمة الاجتماعية أو السياسية.

جاك نيرنك:

بمعنى آخر يجب كسر الجمود والإعداد لمثل هذا اللقاء، هذا ما نسميه بالغرب لقاءً سياسياً.

* كيف تتجاوز النزاع العائلي

جاك نيرنك:

أريد إنهاء مناقشتنا بالكشف عمّا يلي:

أمنيتي أن يأتي يوم يلتقي فيه أولاد إبراهيم عليه السلام ويكون هذا اللقاء في القدس مثلاً؛ لأن القدس تعني الكثير للجميع، إنه حلم يراودني وسأظل أحتفظ به إلى حين.

في يوم من الأيام سوف يعم السلام بين الأديان، بعدها سيخيم السلام بين الشعوب بشرط أن يناقش السياسيون النقاط الأساسية التي تحدثنا عنها، إنهم يبدون وكأنهم عبر قراءة التاريخ اليوم يتصورون أن

obeikan.com

هذا التاريخ مجرد تتابع لمؤامرات إرهابية لا يمكن وضع حد لها إلا بالقوة العسكرية الفعالة.

المشكلة هي أن المتنازعين كلهم من عائلة واحدة، عائلة إبراهيم عليه السلام، يمكن أن نرتبط بعلاقة ودية مع شيء من التحفظ مع الطائفة البوذية. في الواقع هذا لا يهمنا كثيراً لأننا غير مضطرين بالالتزام بذلك، لكن فيما يخصنا نحن فهذا صراع عائلي، ونحن نعرف أن صراع العائلات لا يمكن تفسيره: فالكل له الإحساس أن الآخر يشاركه بعض القيم، ما يملكه الآخر من قيم هي القيم التي فقدها من الرسالة الأولى، أما الآخر فهو أقرب الناس إلينا، مثل ما علمتنا المسيحية، فهو يوجه إلينا اللوم لإثبات وجوده عند التقاء الحضارتين يبدو لكل واحدة أنها في نظر الآخرين مخالفة لله عز وجل.

ولكن هذا الشعور يختلف عن حضارة الآخر.

أنا أقصد إيماني فقط، ولا أكتشف الكفر إلا عبر إيمان الأقربين، فالقريب يصبح مكروهاً مع أنه من المفروض أن يكون لي بمنزلة حامل الرسالة الربانية.

طارق رمضان:

إني أتعلم من الآخرين أن أسأل نفسي عن مسيرتي الخاصة، ويجب على كل واحد أن يهتم بنفسه أولاً، ليس من السهل قول ما يلي: يجب أن أحاكم نفسي بحضورك، حتى لو اكتشفت انحرافاتي، لكن المقابلة

تعتمد على هذه المتطلبات، في يوم من الأيام دعوت بيار دوفرنس إلى حضور مؤتمر قمنا بإعداده، كان مريضاً جداً، لكنه لبى الدعوة إخلاصاً لصداقتنا، صارحنا بحكمة كنت قد تحدثت عنها، وكل يوم أفهم معناها أكثر فأكثر وأتعمق فيها أكثر: لا يجب أن تُخطئ في عدوك.

كم من مسلمة وكم من مسلم اليوم يعدون مؤمنين من ديانات أخرى كاليهود والمسيحيين والانسيين أعداءً لا يجب التعامل معهم، كما لا يجب مصالحتهم.

اليهود والمسيحيون والأنسيون يخطئون أيضاً في حق المسلمين لأنهم يعتقدون أنهم العدو القادم الذي يستعد لغزوهم وسفك دمائهم.

الكل يخطئ في معنى كلمة (عدو)، كل هذه التقاليد الأنسية أو الدينية لها القيم نفسها ومبنية على اهتمام متواصل نابع من الضمير والكرامة، إن ما يجمعهم أهم مما يفرقهم... لذا يجب أن نلتزم معاً اعتماداً على ما يجمعنا (والتنافس على فعل الخير) وفقاً لآية قرآنية لإزالة كل ما يفرقنا.

وأخيراً لنفكر كثيراً في تصورات الحضارة الإسلامية ، والحضارة الغربية التي تدعو إلى شيء من السخرية، التي يمكن استخدامها كما قلنا في مواجهة بين الطرفين، إن أولاد إبراهيم عليه السلام يوجدون اليوم في الحضارتين، والجسور والتواصل بينهما كثيرة وباقية، مَنْ يتجرأ إذاً على معاداة تقاليد سيدنا إبراهيم عليه السلام... اليهود، والمسيح، المسلمون... الأنسيون؟

بالطبع لا، لا يتجرأ على ذلك إلا الإنتاجية العمياء، والفردانية العنيفة، والتقدم غير الإنساني المتوحش الضال، يجب على الجميع التصدي لهذا الشعور المجرد من أي معنى، فالمطلوب من كل من هو مؤمن وله ضمير أن يتحمل مسؤوليته لأن مسؤوليتهم مشتركة، يجب عليهم جميعاً أن يشهدوا أنهم عازمون على التصدي إلى اللّامعقول وإلى غياب الروحانية وتصدع التربية في مجتمعاتنا، هذه الشهادة يجب أن تشمل كل العائلة للتعبير عن كلمة الجميع، أصحاب العقيدة، سواء كان مؤمناً أو إنسانياً، إن الحوار صعب، وسيبقى صعباً داخل عائلة إبراهيم عليه السلام والإنسانيين على حد سواء: الحوار الحقيقي، وفي العمق بالذات ليس سهلاً، خاصة إذاً اتسم بالجدية والصراحة.

لكني أعتقد أنه ليس من واجبنا فقط الاهتمام بالخلافات الموجودة بيننا، بل يجب الانتباه إلى الضغوط الخارجية التي تحدّق بنا وتهدد كياننا.